١٩٣٧، يعد احدى الدلائل على السياسة السوفياتية تجاه اليهود وتجاه الحركة الصهيونية والتي تمّ تقويمها، في بداية الحرب العالمية الثانية، بأنها «من أشد الحركات رجعية»، مرتبطة بالاستعمار، بينما كان تقويمهم للثورة العربية، العام ١٩٣٦، بأنها تحررية تقدمية.

وكما ذكرنا، في البداية، فان تغيّر صورة الحركة الصهيونية في المنظور السوفياتي مسألة معقّدة البحث، وان كان هناك بعض الآراء التي يمكن ارجاعها الى عاملين رئيسين: ١ ـ ان الحركة الصهيونية، من خلال المجتمع اليهودي المحمول الى فلسطين، تنطوي على ملامح اشتراكية، متمثلة في أساليب الانتاج الزراعي وفي الهيئات السياسية داخل الحركة؛ ٢ ـ دور الصهيونية ضد النازية، والآفاق المحتملة لعلاقتها مع السوفيات، اذا ما كان العامل الاول سائداً.

ومهما كان الاختلاف والتباين في وجهات النظر حول التحوّل السوفياتي، أو حقيقة الموقف تجاه القضية الفلسطينية، فان الاتحاد السوفياتي، خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، عمل على تأكيد وجوده في منطقة الشرق الاوسط؛ وذلك امر طبيعي يتفق مع اهتمام الولايات المتحدة الاميركية بالمنطقة، ومع الامكانات النفطية، والموقع الاستراتيجي، وخطوط المواصلات[٥٩]. ولذلك، لم يتوان الاتحاد السوفياتي عن التوجه الى المنطقة، محاولاً مدّ نفوذه، مستغلاً التناقضات السائدة، حينذاك، بين السكان، من ناحية، وبين القوى الاستعمارية التقليدية، من ناحية أخرى؛ وفلسطين من هذه البلاد التي حاول ان يمدّ نفوذه اليها. كما ان اقامة دولة صهيونية في المنطقة العربية ستزيد حدة الصراع في الشرق الاوسط، بصفة عامة، وذلك يهيىء المناخ المناسب لانتشار الفكر الشيوعي. وعلى ذلك، القى وزير الخارجية السوفياتية آنذاك، اندريه غروميكو، خطاباً، في ١٤ أيار (مايو) ١٩٤٧، في الجمعية العامة للامم المتحدة، أيّد فيه تقسيم فلسطين وانشاء دولة يهودية[٦٠].

ومن مظاهر وقوف السوفيات الى جانب الحركة الصهيونية، السماح لها، بل تشجيع هجرة اليهود من اوروبا الشرقية الى فلسطين. ولقد تزايدت تلك الموجات من الهجرة بعد الحرب العالمية الثانية؛ وتعد تلك الهجرات امتداداً لهجرات سابقة بعد الحرب العالمية الاولى، عملت على اقامة أول المجتمعات اليهودية في فلسطين[٦١]. ولقد كانت تلك أولى الحلقات في سلسلة متصلة من التأييد، بلغت مداها في اقرار مشروع التقسيم.

ويمكن تفسير تأييد الاتحاد السوفياتي للتقسيم من خلال وجهتي نظر:

O يرى الاتحاد السوفياتي ان التقسيم يتمشّى مع حقوق الشعوب في تقرير مصيرها، وحق كل شعب في اقامة دولته الوطنية المستقلة. ولعل الجناح اليساري في الحركة الصهيونية استطاع اقناع، او على الاقل ايهام، الاتحاد السوفياتي بأن له قدرة على السيطرة على الحكم، ويمكن ان يوجهه الوجهة اليسارية المطلوبة، بالاضافة الى التقارير التي وردت الى موسكو من الاحزاب الشيوعية، والتي أُشير فيها الى ان العداء الجماهيري العربي للصهيونية هو عداء لاسرائيل الاشتراكية، وليس الاّ موجة عاطفية عملت على اذكائها الرجعية العربية.

O تقوم استراتيجية الاتحاد السوفياتي على ضرورة اضعاف النفوذ البريطاني في المنطقة؛ وحبّذا لو ان اسرائيل عادت بريطانيا، الامر الذي يضمن تأمين الحدود الجنوبية للاتحاد السوفياتي الى حد كبير؛ ولذا، فان تشجيع الحركات المناهضة لبريطانيا امر مطلوب، وليس معناه تشجيع الحركة الصهيونية لذاتها، وانما لأنها قد تناهض الاستعمار التقليدي[٦٢]؛ فضلاً عن ان الاتحاد السوفياتي هدف الى خلق نواة للاضطرابات في المنطقة، تكون ذريعة للتدخل، ومن ثمّ يمكن نشر